الشاعر عبد الله بن همام السلولي

– ١ –

قبيلة بني سلول : –

بنو سلول – القبيلة التي سنتحدث عن احد شعرائها من القبائل التي لا تزال معروفة باسمها القديم ، ومقيمة في بلادها القديمة .

وقد علق بهذه القبيلة اسم أمها سَلُول بنت ذهل بن شيبان : من بكر وائل من ربيعة بن نزار .

تتمة صفحة ٣٦

رحمه الله – في سنة ست وتسعين[١] ولاه سليمان بن عبد الملك .

٢ – علي بن المهاجر ، كان والياً لليمامة ، والمهير ابن سلمى الذي خرج عليه كان حنفياً ، من اهل حَجْر – قاعدة اليمامة ، والوقعة بين المُهَيْر هذا وبين علي بن المهاجر ، حدثت بقاع (حجر) بالحاء ، لا (هجر) بالهاء ، كما جاء مصحفاً في تاريخي ابن الأثير ، وابن خلدون ويدل على هذا سياق الوقعة وشعر ابن ابي حفصة اليمامي .

٣ – يظهر ان حسان بن سعيد هو والد محمد بن حسان ، الذي كان والياً على هذه البلاد حين قتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٧ – كما جاء في تاريخ خليفة بن خياط (ص ٢٤٩) .

ولا يستبعد ان يكون محمد بن حسان بن سعيد الأسدي هو صاحب الشاعر الحكم بن عبدل الأسدي (الذي ورد ذكره في الاغاني ج٢ص١٤٨ من طبعة الساسي بمصر) . اذ من المعروف ان (أسيد) بطن من تميم ، وليحقق .

---

(١) تاريخ ابن جرير ج ٥ ص ٢٧٣ (مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٥٨–١٩٣٩).

مع أن القبيلة مُضَريّة ، ابوها : مرة بن صعصعة – اخو عامر بن صعصعة – بن معاوية بن بكر بن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة بن خصفة ، بن قيس عيلان بن مضر ، بن نزار .

وينبغي التفريق بين قبيلة سلول هذه ، وبين سميّتها القبيلة القحطانية المنسوبة الى سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة (وعمرو هذا هو ابو خزاعة – الاشتقاق لابن دريد ص ٤٦٨ ط ٢) ولسلول القحطانية صلة قوية بمكة في العهد الجاهلي ، حينما كانت سدانة البيت بيد خزاعة ، وبقيت الصلة حتى جاء الاسلام .

بلاد بني سلول

كانت بلاد قبيلة هوازن – وسلول فَرْعٌ منها – يتصل بعضها ببعض ، تتجاور فيها فروع القبيلة ، وكانت بنو سلول تَحُلُّ الجزء الغربي الجنوبي منها وهو فروع الاودية التي تَنْحَدر من جبال الحجاز ، جنوب الطائف ، ثم تفيض في نجد ، تُرَبَة ورَنية وبِيْشَة ، وتنتشر بقية فروع هوازن على جوانب هذه الأودية مختلطة ، واعالي هذه الاودية تحلّها قبائل قحطانية ، وبنو سلول هم الذين يحادّون تلك القبائل في اعلى بلاد هوازن ، فهم يحادّون قبيلة خثعم القحطانية ، ويجاورهم منها بنو الحُلَيْس (١) يشاركون بني سلول في بعض المياه .

ويجاور بني سلول ايضاً من الغرب بنو الحُلَيْف (٢) من بَجيلة القحطانية .
وتجاوز قبيلة خثعم بني سلول في وادي (تُرَبة) و (تَبالة) .

ومن الشرق تختلط سلول مع بطون هوازن الاخرى ، فتشارك مع بني في (بيشة) وما حولها من المواضع وفي (تُرَبة) مع هلال والضباب ، والخثعم من أعلى الوادي .

---

(١) معجم البلدان : (مادة دعازن) – ٢ – معجم البلدان مادة (رابغة)

وتختلط مع بعض بطون كلاب من هوازن في الاماكن الواقعة بقرب (رَنْيَه) و (بيْشَهَ) .

إلاّ أن منازل بني سلول بدأت تنكمش بترك القبيلة بعض مياهها ، وانضمامها حول نفسها في وادي (بيشة) موطنهـــا القديم ، الذي لا تزال سلول تستوطنه .

ولعل انكماش هذه القبيلة نشأ عن كثرة الفتن التي تحدث بين القبائـــل عادة بسبب التنازع على المرعى ، أو على المنهل ، وسلول بسبب ارتفاعها عن مواطن قبيلتها هوازن ، وبسبب مجاورتها لقبائل أقوى منهـا اضطرت الى المسالمة ، ولعل في هذا ما يوضح معنى البيت المشهور : —

ونحن أناس لا نرى القتل سُبَّةً   اذا ما رأته عامر وسلول

فسلول ترى من الحكمة مسالمة مَنْ لا تقدر عليه ، فيما لا يلحقك عار او ضرر بمسالمته .

وهذا مثال لما يحدث بين القبائل ، مما جرى بين الجارتين خثعم وسلول حول الخلاف على موضع من المواضع : —

ذكر ياقوت أن (المعمل) قرية من اعمال مكة في وادي بيشة [1] وكان (المعمل) في اول امره بين سلول ، وخثعم ، وكان السلوليون يحفرون في الوادي ويضعون الفسيل في الحفر لغرسها ، فيجيء الخثعميون فينتزعون ذلك الفسيل ، ويهدمون ما حفر السلوليون ، ويفعل مثل ذلك الخثعميون فيزيلون الفسيل ولا يزال بينهم قتال وضرب ، وكان ذلك المكان يسمى (مطلوباً) .

فلما رآى ذلك العُجَيْر السلولي الشاعر تخوف أن يقع بين الناس شرٌ ، هو اعظم من ذلك ، فأخذ من طينـه ومائه ، ثم ارتحل حتى لحق بهشام بن عبد الملك ، ووصف له صفته ، وأتاه بمائه وطينه ، وماؤه عذب ، فقال له

(١) معجم البلدان (مادة : المعمل)

هشام : كم بين الشمس وبين هذا الماء ؟ قال : أبعد ما يكون بعده ، قال : فأين هذا الطين ؟ قال : في الماء . واخبره بماء جوف بيشة ، واخبره بما في بيشة والاودية التي معها من النخل والغسيل ، واخبره ان ذلك يحتمل نقل عشرة آلاف فسيلة في يوم واحد .

فارسل هشام الى أمير مكة ان يشتري مائتي زنجي ، ويجمع مع كل زنجي امرأته ، ثم يحملهم حتى يضعهم بمطلوب ، وينقل اليهم الفسيل فيضعونه بمطلوب : فلما رأى الناس ذلك قالوا : ان مطلوباً معتمل يعمل فيه ، فذهب اسمه المعمل الى اليوم .

وذكر ياقوت — ايضاً — في موضع اخر [١] — أن العجير السلولي دل على ذلك الموضع ، عبد الملك بن مروان ، واورد ياقوت من شعر العجير — في الحادثة — قوله :

لا نوم ، الاغرار العين ساهرة
إن لم أروع بغيظ أهل مطلوب
ان تشتموني فقد بدلت أيكتكم
ذرق الدجاج ، بحفان اليعاقيب
وكنت اخبرتكم ان سوف يعمرها
بنو أمية ، وعداً غير مكذوب

ويضيف ابن سلام الجمحي — الى ما نقل ياقوت عنه وعن غيره — قوله [٢] : فركب رجل من خثعم يقال له أمية الى عبد الملك حتى دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما اراد العجير أن يصل اليك ، وهو شويعر سئال ، وحربه عليك ، فكتب عبد الملك الى عامله بأن يشد يدي العجير

(١) معجم البلدان (مادة : مطلوب)
(٢) طبقات فحول الشعراء تحقيق الاستاذ محمود شاكر (ص ٥٢١) .

الى عنقه ، ثم يبعثه في الحديد ، فبلغ العُجير الخبَر ، فركب في الليل حتى اتى عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين : انا عندك فاحتبسني ، وابعث من يُبْصِر الأرضين والضياع ، فان لم يكن الامر على ما أخبرتك ، فلك دمي ، حِلّ ، وبِلّ ، فبعث فاتخذ ذلك الماء ضيعة ، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية . وماذا كانت النتيجة؟ ذهب المعمل لبني أمية ولم تستمد القبيلتان : سلول وخثعم شيئاً .

ومن أسماء مناهلهم وجبالهم ومنازلهم — على ما جاء في (معجم البلدان) وغيره ، مرتبة على حروف المعجم :

- الأرِيضُ : ـ ويسمى الوشل ـ ماء في جبل الضَّمْر .

- بقيع سلول : ذكره الهجري قائلاً[1] ، وانشدني لرجل من سلول ، من اهل البقيع ، بقيع سلول :

أَتجْمَعُ بُخلًا فاحِشاً وتكبُّراً
وما قادَ ذمًّا كالتكبر والبُخْلِ

فلَوْ كانَ غطى البُخْلَ منكَ تواضع
او الكِبْرَ جودٌ ، كنت من ذَيْنِ في عَدْلِ

ونقل عن آخر دعاه (التُّرَبي) وقال عنه[1] : هو فصيح من سلول ، من اهل البقيع .

- بِيْشَةُ ـ هي خير بلادهم ، على ما نقل الحموي عن ابي زياد .

وبيشَةُ عِرْضٌ واسِعٌ تجتمع فيه اودية كثيرة ، وفيه قُرى وبلاد واسعة .

واكبر قـــرى الوادي بلدتان : الرَّوْشَنُ ، و نِمْرَانُ ، الاولى لبني سلول ، والثانية لبني معاوية أبناء عم سلول .

---

(١) التعليقات والنوادر (ص ١٨٦ و ٤٤٧) .

وُيقام في بيشة سوق تجـاري ، في كل اسبوع ، في يوم الخميس ، يجتمع فيه اهل تلك النواحي من بادية وحاضرة ، وهو من اعظم اسواق الجزيرة التجارية لتوسط بيشة بين الحجاز ونجد واليمن ، ولوقوعهـا في ملتقى طرق جنوب الجزيرة وشرقها وشمالها وغربها . يضاف الى هذا خصوبة ارض بيشة واعتدال جوها .

● البَيْضَاءُ : ماءة لسلول بالضَّمْرَيْن .

● تُرَبَةُ : وهو وادٍ ، اسفل هذا الوادي لبني هلال ، وللضباب ، ولسلول ، واعلاه لخثعم [1] .

● حُزَازُ ـ بالضّمّ والتخفيف ـ هضابٌ بارض سلول .

● الحَضَنَانِ ـ بالتحريك والتّثْنية ، واحدهما حَضَنٌ ـ جبلان في بلادهم .

● الحُلَيف : ماء عليه يصدّقُ العاملُ بطوناً من كلاب وسلول .

● الحنيظِلَةُ : ماء لبني سلول بطريق حجاج اليمامة .

● الخَيْماتُ : نخل ببطن بيشة ، وقـد يزرع في بعضها الحبّ ، ونقل ياقوت عن ابي زياد قوله : وما حدثت انّ لقوم نخلا ببلد من البلدان افضل من الخيمات .

● الشُّبَيْكَةُ : ماء لهم .

● صَعْدَة : ماء جوف العلمين (عَلَمَيْ بن سلول)

قريب من مُخمرٍ ، وهو ماء اليوم في ايدي عمرو بن كلاب في جوف الضّمر

● الضّائِنُ : من جبال بـني سلول ، جبلان : جَبلٌ يقال له الضّائن ، وآخر يقال له الضمر ، فيقال لهما الضّمْران .

---

(١) معجم ما استعجم للبكري (مادة : تربة) .

• الضَّمْرَان ويفتح اوله ، قال الاصمعي : الضمر والضائن علمان كانا لبني سلول يقال لهما الضَّمْران ، في احدهما ماءة يقال لها الخِضْرَمة ُ وهما في قبلة الاحسن ، ومعدن الاحسَنِ لبني ابي بكر بن كلاب ويقال للضَّمْر والضائن : الضَّمْران قال الشاعر :

لقد كان بالضمرينِ والنِّيرِ مَعقِلٌ
وفي نَملَى والأخرَجَينِ – مَنِيعُ

• عاقِرُ النَّجْبَةِ : جبل لهم (انظر النُّجَبَة)

• كوْر (بالفتح) جبل بين اليامة ومكة لهم .

• المُجتَبية ُ : ماءة لهم في الضَّمرين

• مَخضُورَاء : (او مخضوراء) مَاءَةٌ لهم نقل ياقوت أنه في كتاب ابي زياد (بالخاء المعجمه) .

• مَخضَورَاءُ والخِضرمة : ماءتان لبني سلول ، وقال ابو زياد انهما لبني الحليس من خثعم ، جيران بني سلول .

• المَعْمَلُ : (في بيشة) بينهم وبين خثعم ، وتقدم خبره .

• النُّجَبَةُ : ماءة لهم بالضَّمْرَين .

• الوَشلُ : ماء لهم في جبل الضمر (ويسمى الاريض عن ابي زياد) .

من شعراء سلول

عُنِيَ بعض علماء الادب من المتقدمين بجمع الشعر العربي ، وترتيبه على اساس جمع شعر كل قبيلة على حدة ، ولو وصل إلينا الشعر القديم على هذه الطريقة من الجمع – كما في شعر هذيل – لانجلت من ادبنا القديم نواحي لا تزال غامضة مجهولة مما يتعلق بالحياة القبلية في العهد القديم ، يذكر المتقدمون من شعراء سلول :

١ ـ نعيم[١] بن بدر بن الحارث بن ظالم ، بن عمارة ، بن زابن ، بن نهار ، بن مرة بن صعصعة .

٢ ـ قَرْدة بن نُفاثة بن عمرو بن ثوابــة بن عبدالله بن تميمة بن عمرو ابن مرة بن صعصعة ، صحابيٌ ، من قوله :

وقد أُروّي نديمي من مشعشةٍ
وقـد أُقبّل اوراكاً واكفالا
فـالحمدلله ، إذ لم يأتني اجـلي
حتى اكتسيت من الاسلام سربالا[٢]

ومن شعراء سلول ، من اشهرهم : العجير[٣] بن عبدالله بن عبيدة بن كعب ابن عائشة بن الربيــع بن ضبيط بن جـــابر بن عبدالله بن مرة بن صعصعة (وسنفرد له ترجمة خاصة) ، ومن قوله :

خلقت جواداً ، والجواد مثابِرٌ
على جَرْيِـهِ ، ذو عِلّةٍ ويَسيرُ
ولا يسبق الغاياتِ مستسلم الصّلاَ
مُقِلٌ لِأطراف الرماح عَثُورُ
ولكنْ مُشيحُ الرَّكض ، مستبعَدُ المدى
إذا ابتَلَّ من سَجْمِ الحميم طَحُورُ
فلا تُوزعيني ، انما يوزع الذي
به ضَعَفٌ ، او في القيام فتورُ

(١) جمهرة النسب لابن الكلبي (٢٩٦)
(٢) جمهرة ابن الكلبي (٢٩٦) (٣) طبقات فحول الشعراء ص(٥١٧)

ولا تَزْدريني ، وانظري ما خليقتي

إذا ضاف أمرٌ ، او أَناخ أمير[1]

ومن شعرائهم : سوادة بن عبدالله السلولي ، ذكره ابن جرير في تاريخه (حوادث سنة ٩٦) واورد له مقطوعتين من الشعر[2] .

ومنهم عبد الملك بن سلام السلولي ، ذكره ابن جرير ايضاً (حوادث سنة ٦٨ [3]) .

ومن شعرائهم : نُوَيْب (وهو لقب) واسمه ، عبد الملك بن عبد العزيز السلولي - اليمامي وقد ترجمه صاحب الاغاني[4] ، وأورد له مقطوعات من الشعر رقيقة .

ومنهم : مزاحم بن عمرو السلولي -[5] الذي قتله ابن الدُمينة الشاعر - فقتل به ، وام ابن الدمينة سلولية .

الشاعر عبدالله بن همام :

ومن سلول ، من اشهر شعرائهم : عبدالله بن همام بن نُبَيْشة ، بن رياح ، بن مالك ، بن الهُجيم ، بن حوزة ، بن عمرو بن مرة بن صعصعة[6].

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام (٥١٧) والاغاني (١٢، ١٤٦ وترجمة العجير في الاغاني (ج ١١ ص ١٤٩ وما بعدها) .

(٢) ج ٥ ص ٢٧١) .

(٣) ج ٥ ص ٢٩١) .

(٤) الاغاني (ج ٢٠ ص ٧٩ وما بعدها) (٥) الاغاني (ج ١٥ ص ١٤٥) طبعه الساسي - بمصر .

(٦) جمهرة النسب لابن الكلبي (٢٩٦) وخزانة الادب (٣ / ٦٣٩ الطبعة الاولى)

لا تسعفنا النصوص التاريخية التي بين ايدينا بما ينير لنـا الطريق لدراسة حياة هذا الشاعر دراسة مفصلة ، نتبين جميع جوانبها ، اذ كل مـــا استطعنا معرفته عنه لا يعدو نُبَذاً واخبارا موجزة ، ومقطوعات شعرية قصيرة ، منها يستطاع تحديد العصر الذي عاش فيه الشاعر ، دون تحديد زمنه تحديداً دقيقاً.

واذا كان كتاب «الاغاني» ذلك الاثر الادبي العظيم قد خلد لنـــا اسماء جُل الشعراء العرب المعروفين من القرن الثالث الهجري ، فما قبـله ، فاننـا نجده ضنّ على شاعرنا بترجمة مفردة ، وانما ساق طرفاً من أخباره عَرَضاً ، بل لم نجد من اخبار ذلك الشاعر سوى خبرين أوردهما في ترجمتي « النعمان بن بشير » و « مصعب ابن الزبير » .

ولا يرجع اهمال ابي الفرج الاصبهاني لهذا الشاعر وعـدم افراده بترجمة – في رأينا – لضعف شاعريته ، او خمول ذكره ، ذلك ان ابا الفرج ترجم شعراء ، يمتاز عليهم ابن همام بجودة الشعر ونباهة الذكر ، وترجم الاصبهاني العجير بن عبدالله السلولى ، وابا زبيد الطائي ، وهما من طبقة شاعرنا – على ما ذكر ابن سَلاّم الجحي – الذي يعدّ كتابه من اوثق المراجع وأصحهـــا في دراسة الشعر العربي ، وهو مصدر من مصادر صاحب الأغاني ، نقل جُلّ ما فيه من اخبار الشعراء واشعارهم .

قال ابن سلام (١٣٦ – ٢٣١هـ) في كتابه طبقات فحول الشعراء[1]: الطبقة الخامسة من الاسلاميين :

ابو زبيد الطائي ، واسمه حرملة .

والعجير بن عبدالله السلولي.

وعبدالله بن همام السلولي .

ونفيع بن لقيط الأسدي .

– ثم ساق طرفاً من اخبار كل واحد منهم ، واشعاره .

فقال عن عبدالله بن همام[2]: « واما عبدالله بن همام السلولي فحدثني يونس ،

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٥٠٥ : (٢) ص ٥٢٢

وابو الغراف قالا : كان عبدالله رجلاً له جاه عند السلطان ، وَوُصْلَةٌ بهم ، وكان سَرِياً في نفسه ، له همة تَسمُوُ به ، وكان عنـــد آل حَرْب مكيناً حَظِيّاً فيهم، وهو الذي حدا يزيد بن معاوية، على البيعة لابنه معاوية، فقال:

تَعزّوا يا بني حَرْبٍ بصَبْرٍ... (القصيدة).

كان الشاعر ابن همام يُدلُّ ويدلي بقرابة بعيدة لآل حَرْب ، هي أن أم أمية بن عبد شمس هي عاتكة ، من بني رؤاس ، من عامر بن صعصعة بن معاوية ، وأم ابي سفيان بن حرب بن أمية هي صفية ، من بني هلال بن عامر بن صعصعة ، والشاعر – كما تقدم في نسبه ، من بني مرة بن صعصعة وفي هذا يقول [1] :

فجالتْ بنـــا ، ثم قلتُ اعطفي
بـــه يا « صَفِيٌّ » ويا « عاتِكَا »
فأطّتْ لنَا رَحِمٌ بَرّةٌ
ولن نَعدم النَّسَبَ الشابكا

وكان الشاعر يقيم في مدينة الكوفة ، كما تدلُّ البقية الباقية من اخبـــار صلته بولاة هذه المدينة ، ومن ثم عُـدّ كوفياً [2] ، كما نسب كثير من شعراء جزيرة العرب الى العراق ، لكثرة اتصالهم بالخلفاء والولاة في ذلك القطر .

ولقد ادرك ابن همام عهد معاوية ، فالقالي يورد في الاغاني [3] خبر واش وشى به الى زياد ، فقال له : انه هجاك .

فقال : أجمع بينك وبينه ؟ قال : نعم . فبعث زياد الى ابن همام فأتي به ، وأدخل الرجل بيتاً ، فقال زياد : يا ابن همام ، بلغني انك هجوتني ، فقال : كلا ، اصلحك الله ! ما فعلت ، ولا انت لذلك بأهل . فقال : ان هذا الرجل أخبرني . وأخرج الرجل ، فأطرق ابن همام هنيهة ، ثم أقبل على الرجل فقال :

---

(١) جمهرة النسب لابن الكلبي «١٩»

(٢) حسن السندوبي « هامش البستان للجاحظ ج ١ ص ١٨٣ – مطبعة د . الكتب «سنة ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦ ».

(٣) الامالي ج ٢ ص ٦٤

وانت امرؤ إمـــا ائتمنتك خاليـًا
فخنت ، واما قلت قولاً بلا عِلْم

فأنت من الأمر الذي كان بيننـــا
بمنزلةٍ بـــين الخيـــانة والاثم

فأعجب زياد بجوابه ، وأقصى الواشي ، ولم يقبل منه .

وزياد تولى البصرة لمعاوية في شهر ربيع من سنة خمس واربعين ، على ما ذكر خليفة بن خياط [١] ومات سنة ثلاث وخمسين .

والمقطوعتان « فروجة الرفاء » و « يا بن برصاء » قالهما في اثنـاء امارة زياد « سنة ٥٠ و ٥١ » .

وللشاعر قصة مع عامل معاوية على الكوفة ، النعمان بن بشر ، اوردهـا صاحب الاغاني وقـد تولى النعمان لمعاوية الكوفة سنة تسع وخمسين ، وعزله يزيد بن معاوية سنة ستين ــ بعد وفاة معاوية ، على مـــا ذكر ابن جرير ، في تاريخه .

قال ابو الفرج الاصفهاني ، في كتاب « الاغاني » [٢] :

أمر معاوية لاهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير ، في اعطيتهم وعامله يومئذ على الكوفة وارضها النعمان بن بشير ، وكان عثمانيا ، وكان يبغض اهل الكوفة ، لرأيهم في عليّ عليه السلام ــ فأبى النعمان ان ينفذها لهم ، فكلموه وسألوه بالله ، فأبى ان يفعل ، وكان اذا خطب اكثر من قراءة القرآن ، وكان يقول : لا ترون على منبركم هذا بعدي احداً يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد المنبر يوماً فقام اليه اهل الكوفة ، فقالوا : ننشدك الله ، والزيادة !! فقال : اسكتوا ! فلما اكثروا قال : تدرون ما مثلي ومثلكم إلا مثل الضبع ، والضب ، والثعلب ، فان الضبع والثعلب أتيا الضب في وِجارِه ، فنادياه : أبا الحِسْل ! فقال : سميعاً دعوتما ! قالا : أتيناك لتحكم بيننا ! قال : في بيته

(١) تاريخ خليفة ص ١٢٢ و ص ١٣٢ (٢) الاغاني ج ١٤ ص ١١٦ .

يؤتى الحَكَم! قالت الضبع : اني حللت عيني . قال : فعلُ الحُرَّة !.
قالت : فالقطت تمرة . قال : طيباً لقطتِ ! قالت : فأكلهـــا الثعلب !.
قال : لنفسه نظرَ ! قالت : فلطمته ! قال : بجُرْمِهِ ! قالت : فلطمني !.
قال : حرٌّ انتصر . ! قالت : فاقض بيننا ! قال : حدث امرأة حديثين فان أبت فعشرة !.

فقال عبدالله بن همام السلولي :

زيادتنـــا نعمان لا تحرمننـــا   تخفِ الله فينا ، والكتاب الذي تتلو

ثم اورد القصيدة وقال-: فقال النعمان بن بشير:لا عليه ألاّ يقترب والله لا اجيزها، ولا انفذها أبداً .

وذكر الجاحظ [١] ان معاوية لما توفي لم يقدم احد على تعزية ابنه يزيد حتى دخل عليه عبدالله بن همام فانشأ يقول : [١]

اصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم - الابيات

فانفتح الخطباء للكلام بعدذلك .

ويروى ابن سلام في « الطبقات » [٢] انه هو الذي حدا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية .

في عهد ابن الزبير

اتصل الشاعر بعمال ابن الزبير في العراق ، ففي سنة خمس وستين ، حينما طرد اهل الكوفة عاملهم الاموي ، وأمروا عامر بن مسعود البكري ، وكان رجلاً قصيراً ، فهجاه ابن همام ، وطلب من ابن الزبير فصله من العمل.

وكان ابن الزبير قد ولى الحارث بن عبدالله المخزومي على البصرة سنة « فيما بين عامي « ٦٥و٦٦» وكان-فيما يصفه ابن عساكر [٣] نقلاً عن ابن سعد-خطيباً ، عفيفاً ، وكان فيه سواد ، لان امه كانت حبشية نصرانية ، وكان يقـــال له

(١) في البيان والتبيين « ج ٢ ص ٣٦ » (٢) الكامل للمبرّد (٣) الطبقات ص٥٣٢
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص٤٤٧-٤٥٠

القباع – بضم القاف وتخفيف العين ، وفيه يقول ابو الاسود الدؤلي ، لعبدالله بن الزبير :

امير المؤمنين جزيت خيرا
ارحنا من قُبَاع بني المغيرهْ
حمدناه ، ولمناه ، فأعيا
علينا ، ما يَمُرُّ لنا مَريره
سوى أن الفتى نِكْحٌ ، اكول
وسَهّاك ، مَخاطبُهُ كثيره
كأنا حين جئناه أطفنا
بضبعان تورط في حفيره

فعزله ابن الزبير

وقد ولّى الحارث شرطة الكوفة رجلًا من بني نهشل من تميم ، يدعى الفُلافس (١) ، وقد هجاه ابن همام أسوأ هجو « انظر حرف السين » وقد خرج الفلافس هذا مع ابن الأشعث فقتله الحجاج (٢) .

لما تزوج (٣) مصعب سكينة على الف الف درهم – كتب عبدالله بن همام على يد ابي السّلاّس الى عبدالله بن الزبير :

ابلغ امير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا

« الابيات » وكان ابن الزبير قد أوصى ابا السلاّس ألا يعطيه احد كتاباً الا جاء به ، وكان ابو السلاس الرسول بينه وبين اخيه مصعب والي البصرة له ، فلما أتاه بكتاب ابن همام قال : صدق والله ! لو نقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على الف الف ، ثم قال : ان مصعباً لما

(١) الحيوان للجاحظ « ج ١ ص ٢١٦ » (٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة «ص٥٤٦ » طبعة بيروت سنة ١٩٦٤ .
(٣) الاغاني « ٥ ج ١٤ ص ١٦٣ »

وليته البصرة ، اغمد سيفه ، وسلّ أيره ، وعزله عن البصرة ، وامره ان يجيء على الجسر ، وقال اني لأرجو ان يخسف الله بك فيهـــا ! فبلغ قوله ذلك عبد الملك بن مروان فقال: لكن عبدالله، والله ! أغمد سيفه،وأيره،وخيّره!

وقد نسب صاحب النقائض (١) الابيات التي أوردها صاحب الاغاني الى انس بن زنيم الليثي ، ولكنها بابن همام الصق .

اثناء ثورة المختار

وفي سنة ٦٦ قام المختار بن ابي عبيد واخرج عامل عبدالله بن الزبير ، من الكوفة ، كان عبدالله بن همام مختفياً خائفاً من المختار ومن شيعته ، لانه سمع احدهم وهو ابو عمرة ينال من عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فقنعه بالسوط ، فبقي مختفياً حتى استأمن له عبدالله بن شداد الجشمي – من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، اخوة بني سلول قوم عبدالله ابن همام – وكان ابن شداد من المقربين من المختار ، وأمن ، ومـــدح المختار وشيعته بقصيدته العينية ، التي يقول فيها :

وفي ليـــلة « المختار » ما يذهل الفتى
ويلهيه عـــن رؤد الشباب شَمُوع

فلما انشدها المختار ، قال لاصحابه : قد اثنى عليكم كما تسمعون ، وقـــد أحسن الثناء عليكم ، فأحسنوا له الجزاء ، ثم قام المختار فدخل وقال لاصحابه لا تبرحوا حتى اخرج اليكم ، فقال عبدالله بن شداد الجشمي – الذي شفع له : يا ابن همام ، ان لك عندي فرساً ومطرفا . وقال قيس بن طهفة النهدي . ان لك عندي فرساً ومطرفا . واستحيا ان يعطيه صاحبه شيئاً لا يعطي مثله ، فقال ليزيد ابن أنس الأسدي. فما تعطيه انت ؟ فقال يزيد . ان كان ثواب الله اراد بقوله فما عند الله خير له ، وان كان انما اعترى بهذا القول اموالنا فوا لله ما في اموالنا ما يسعه ، قد كانت بقيت من عطائي بقية ، فقوّيت بها اخواني .

---

(١) نقائض جرير والفرزدق ص ١٠٨٩

فقال أحمر بن شميط الأحمسي – مبادراً لهم قبل ان يكلموه – يا ابن همام ان كنت أردت بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله ، وان كنت انما اعتريت به رضا الناس وطلب اموالهم فاكْدِم الجندل ، فوالله من قال قولاً لغير الله،وفي غير ذات الله بأهْلٍ أنْ يُنْحَلَ ، ولا يوصل. فقال له ابن شميط – عَضَضْتَ بأيرِ أبيك . فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لابن شميط – تقول هذا القول يا فاسق ! فرفع ابن شميط عليه السيف ووثب اصحابهما يتفلتون على ابن همام ، فأخذ بيده ابراهيم بن الأشتر النخعي فالقاه وراءه ، وقال : انا له جار ، لِمَ تأتون اليه ما أرى ؟ فوالله انه لواصل الولاية ، راضٍ بما نحن عليه ، حسن الثناء ، فان انتم لم تكافئوه بحسن ثنائه فلا تشتموا عرضه ، ولا تسفكوا دمه ، ووثبت مَذْحج فحالت دونه ، وقالوا : أجاره ابن الأشتر ، لا والله ، لا يوصل اليه ، وسمع لغطهم المختار فخرج اليهم ، وأومأ بيده اليهم أن اجلسوا فجلسوا فقال لهم : اذا قيل لكم خير فاقبلوا ، وان قدرتم على مكافأة فافعلوا وان لم تقدروا على مكافأة فتنصلوا ، واتقوا لسان الشاعر ، فان شره حاضر ، وقوله فاجر ، وسعيه بائر ، وهو بكم غداً غادر . فقالوا : أفلا نقتله ؟ قال : لا ، انا قد أمناه ، واجرناه ، وأجاره اخوكم ابراهيم بن الأشتر . فجلس مع الناس ، ثم ان ابراهيم قام الى منزله فاعطاه الفا وفرسا ومطرفا ، فرجع بها ، وقال : لا والله ، ما جاورت هؤلاء ابداً .

واقبلت هوازن وغضبت واجتمعت في المسجد غضباً لابن همام فبعث المختار فسألهم ان يصفحوا عما اجتمعوا له ففعلوا وقال ابن همام يمدح ابن الأشتر قصيدته الكافيّة .

ثم ان عبدالله بن شداد الجشمي اقبل من الغد ، فجلس في المسجد وصار يقول : أعلينا تتوثب بنو أسد ، وأحمس ؟ والله لا نرضى بهذا أبداً . فبلغ ذلك المختار فبعث اليه فدعاه ودعا بيزيد ابن انس وبابن شميط ، فحمد الله واثنى عليه وقال : يا ابن شداد ان الذي فعلت نزعة من نزغات الشيطان ، فتُب الى الله ، قال : قد تُبْتُ . وقال : ان هذين أخواك فأقبل اليهما ،

واقبل منهما ، وهب لي هذا الأمر ، قال – فهو لك . (اورد ما تقدم ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ٥١٠/٥١٣) .

حياته من شعره

ويتضح من شعره انه كان اموي الهوى ، حتى في الوقت الذي ضعف فيه أمر بني أمية « من سنة ٦٢ الى سنة ٧٢ هـ » . أما ما قاله في ولاة ابن الزبير فانه لا يتجاوز حدود التذمر والاستياء والشكاية « المقطوعات – مُحَرَّس من مثله – بضع الفتاة – دحروجة الجعل » .

وما قاله في المختار واصحابه هو الى التصنع والمداراة أقرب منه الى الحقيقة ، « كما في المقطوعة – ليلة المختار » وفي المقطوعتين « اير ذباب » و « نار كابين » يحس القارىء من صدق التعبير ، وسلاسة الطبع ، ما يدل على ان الشاعر ترك لنفسه سجيتها ، وترك التكلف .

ثم لما عاد الأمر لبني أمية ، نجد مقطوعة من شعره تدل : على صلته بهم « المقطوعة – الله اعطاك » ولكن المقطوعة – « ولو جئتم برملة او بهند » تدل على انه لم يدم على ولاء بني أمية .

ولعله قال هذه المقطوعة في آخر عهد عبد الملك ابن مروان ، الذي خلع اخاه [1] عبد العزيز من ولاية العراق ، وولى ابنه الوليد ، ثم ابنه سليمان من بعد الوليد ، كما يدل على ذلك قوله :

اذا ما مات كسرى قام كسرى
نعد ثلاثة متتابعينا

متى توفي الشاعر

وتكاد تختفي عنا اخبار ابن همام في عهد عبد الملك ابن مروان ، فلا نعلم منها الا ما قصه ابن جرير في تاريخه [2] ، وقبله الجاحظ [3] من دخوله على الوليد

---

(١) تاريخ اليعقوبي « ج ٢ ص ٢٨٠ » .
(٢) تاريخ ابن جرير « ج ٥ ص ٢١٤ »
(٣) البيان « ج ١ ص ٣٨٣ تحقيق السندوبي » .

بن عبد الملك حين مات والده ، وانشاده ابياتاً من الرجز ، في مدح الوليد ، مما يدل على انه ادرك سنة ست وثمانين .

اما البكري ابو عبيد فيقول في شرح الامالي [١] : « ادرك معاوية ، وبقي الى ايام سليمان بن عبد الملك او بعده » ولهذا فقد أخر الاستاذ الزركلي — في كتاب « الاعلام » وفاته « نحو ١٠٠ هـ ٧١٨ م » . بينما عدّه الذهبي من اهل الطبقة الثامنة — اي الذين توفوا قبل سنة احدى وثمانين [٢] .

شعره

يقول ابن الكلبي في « جمهرة النسب » [٣] — عن ابن همام ، « كان يقال له من حسن شعره العطار » . وقد عدّه ابن سلام في طبقاته من الطبقة الخامسة من الشعراء الاسلاميين .

ويصف الاستاذ حسن السندوبي الشاعر [٤] بانه « من اكابر الشعراء الذين لهم قول في سياسة الدولة » .

وليس من المستطاع معرفة درجته من الشعر ، من هذه النتف الموجزة ، التي وصلت الينا فيما هو بين ايدينا من كتب التاريخ والادب .

ولعل اروع ما وصل الينا من شعره واجوده القصيدتان « بهم تقويمنا وهم عصل » و « ولو جاؤا برملة او بهند » ففيهما تصوير بارع لمـــا يتصف به الشاعر من ثورة وتذمر .

ويكاد القارىء يدرك روح القلق بادية في كثير من المقطوعات ، حتى فيما يحاول الشاعر ان يظهر فيها بمظهر المُثْني الراضي — كما في القصيدة : « تلقفها يزيد ، عن ابيه .. البيت : «١٢» .

والشاعر شديد الاعتزاز بقومه من هوازن ، كثير الفخر بهـــم ، يعدد مفاخرهم ، ويذكر الايام التي انتصروا فيها على القحطانيين « القصيدة : اتذكر قوماً أوجعتك رماحهم ؟! — والقصيدة : نار كَلْبَيْنِ » . (يتبع في ص ٩٠)

(١) ص ٦٨٣ .
(٢) الاعلام « ج ٤ ص ٢٨٨ » .
(٣) تاريخ الاسلام للذهبي « ج ٣ ص ١٨٦ » .
(٤) ص ٢٩٦ . (٤) هامش البيان للجاحظ « ١ - ١٨٣ »

ونصٌ آخر من كتاب « بلاد العرب » للاصفهاني وهو من اقدم الكتب التي ألفت عن تحديد مواضع الجزيرة .

قال [١] : « وبغربي حرة النار : خيبر » .

ان الخلط وعدم التفريق بين الحرتين قد وقع فيه علماء اجلاء من المتقدمين ولكنهم ليسوا من اهل هذه البلاد ، بل كانوا بعيدين عنها ، منهم ابومنصور الازهري الذي تعتبر كتاباته عن شرق الجزيرة على درجة قوية من الصحة لكونه كتبها عن مشاهدة بخلاف المواضع الواقعة في وسطها او غربها .

ومنهم القاضي عياض — وغيرهما من العلماء الذين لا يبلغون مبلغ الهجري في معرفة بلاد العرب واحوالها .

(١) بلاد العرب « ص ٥٠ نسختي الخطية » .

تتمة صفحة ٥٣

وهو يفخر بصلة نسبه بالخلفاء الامويين ، بخؤولة قبيلة هوازن لهم ، ويسميه « النسب الشابك » .

وفي شعر ابن همام لمحات تصويرية ، واضحة المعالم ، على ايجازها: « دماميل الجزيرة — حيّة الماء » .

ومن حكمه : المقطوعتان : « المال عارة » و « بين الخيانة والاثم » .

وفي لغته سلاسة ووضوح ، اذا قورنت باساليب شعراء عصره .

ويهدينا شعره الى فصاحة كلمات ، لا نزال نستعملها ، مما يدخل في كلام العامة ، وهو من العربي الفصيح ، اذ ابن همام — كما هو معروف — من الشعراء الاسلاميين الذين يحتج بكلامهم .

من تلك الكلمات : « تَنْحَاشُ » بمعنى تهرب و « قيس » بمعنى مقدار .

وهاتان الكلمتان لا تزال تستعملان لدى أهل نجد ، بالمعنى الذي استعملها فيه الشاعر .

(الى الجزء الثاني)